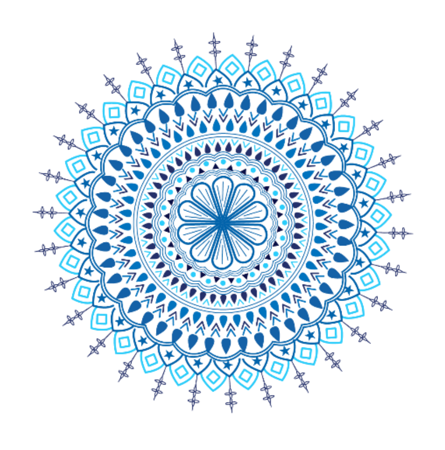




تأليف الشيخ

أبي الطيب مولود السريري





00212682617060

   @assariry

 Tinkert.school@gmai.com




بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرسلِين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

۞ فقد كثُر السُّؤال هذه الأيَّامُ عن النِّزاع الَّذي اشتدَّ في شأن العقيدةِ، **بين من ينتسبون إلى مذهب الأشاعرة، ومن ينتسبون إلى ما يُسَمَّى مذهبَ السَّلفيَّةِ،** وقد اشتدَّ هذا النِّزاعُ وانتشر وعُمِّمَ القولُ فيه، والنَّاس يسألون عن هذا الأمر، وإن كان هذا الأمرُ يحتاج إلى كلامٍ طويلٍ، وتفصيلٍ في المقالاتِ، وإيرادٍ للمباحثِ، وردِّ الأشياء إلى أصولها وأُسُسِها، فهذا هو الَّذي يحتاج إليه هذا الموضوع، ولكن لمَّا كان هذا مُتعذِّرًا الآن، فإنَّه يُؤْتَى بكلامٍ مُوجَزٍ مُختصَرٍ في هذا المقام، يَتصوَّرُ به المُنصِفُ حقيقةَ هذا الأمر.

۞ وأوَّلُ شيءٍ يجب أن يُبدأَ به هو أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمرَ المؤمنين على ما جاء به أنبياؤه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من وحيٍ منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يؤمنوا، فأمرهم أن يؤمنوا به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، على الوجه الَّذي فُصِّلَ في آياته المُنَزَّلة، فآمن النَّاس، واعتقدوا هذا الَّذي أنزله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنَّه الحقُّ والصَّوابُ، فآمن النَّاسُ في مشارق

الأرض ومغاربها، وكلُّ ما جاء من عند الله عَزَّوَجَلَّ فهو قد استُقبِلَ بنورِ الفطرة، واستقرَّ في النَّفس وآمن به النَّاس، فاعتقدوا أنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الخالق، وأنَّه سميعٌ بصيرٌ، وأنَّه قويٌّ عزيزٌ، وأنَّه المُدبِّرُ الحكيم، إلى آخر ما وجب عليهم أن يعتقدوه ممَّا هو مُنَزَّلٌ من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مأمورًا بالإيمان به، فأقبل النَّاس بهذا الإيمان على الأعمال، وانكفُّوا عن السُّؤال عمَّا وراء هذه المعاني، وكان هذا هو الَّذي استمرَّ عليه المؤمنون منذ أن خلق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الخليقةَ وأمرهم بهذا الَّذي أُمِروا به، فاستقبل النَّاس هذه العقيدةَ، واستقرَّت في نفوسهم، وكلُّ مُؤمِنٍ يحمل هذه المعاني، فكلُّ هذه المعاني الَّتي ذُكِرَت قد شُحِنَتْ بها القلوبُ، وشُحِنَتْ بها الصُّدورُ، وتجد العامِّيَّ الَّذي لا يكتب ولا يقرأ قد قام به هذا الأمرُ على تمامه، فكان يطلب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لاعتقاده أنَّه يسمع، وكان يطلبه لأنَّه يعلم أنَّه يقدر، وكان يستغفره لأنَّه يرحم، وكان يستنصره لأنَّه يعلم أنَّه هو القويُّ العزيز، وكان إذا أتى ذنبًا أو معصيةً رجع إليه مُستغفِرًا، لأنَّه يعلم أنَّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ غنيٌّ عن العالمين، إلى غير ذلك من المعاني الَّتي تجد العامِّيَّ الَّذي لا يكتب ولا يقرأ قد استوفاها اعتقادًا، وبنى عليها سلوكه، هكذا كان المؤمنون من الزَّمان الأوَّلِ، من أتباع آدمَ وإبراهيمَ وموسى وعيسى الَّذي معَه الحوارِيُّون، وهكذا كان أتباعُ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على رأسهم الصَّحابةُ، فآمنوا وصدَّقُوا ودخلوا في العمل وكفُّوا عن السُّؤال عمَّا وراء هذه المعاني، فلم يتخطَّ أحدٌ منهم هذا الأمرَ

ولم يتجاوزوه، هذا هو الحال، **وهذا هو الأمر الَّذي يُعتبَرُ مطلوبًا من أهل الإيمان**، وجرت النَّاس على هذه الطَّريقةِ واتَّبعوها ومَضَوا عليها، **ولم يكن الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **قد كلَّف النَّاس شيئًا وراء هذا الَّذي هم عليه من الإيمان والاعتقاد والقصد إلى الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يُمكن أن يشَكِّكَ إنسانٌ في وجود هذه الحقيقةِ في كلِّ مُسلِمٍ، فلو حلَلْتَ بالبوادي أو بأيِّ مكانٍ، ثُمَّ سألت المُسلِمَ لوجدته يعتقد أنَّ الله يراه، ويعتقد أنَّ الله يسمعه، ويعتقد أنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جبَّارٌ قويٌّ عزيزٌ، قدرته لا نهايةَ لها، وإرادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تسبق كلَّ شيءٍ، وتجد هذه العباراتِ عند العجائز وعند جميع من آمن بالله وصدَّق ما جاء به، بدون استثناءٍ، وإن كان في بعض الأحيان قد يتضَبَّبُ إليهم بعضُ ما يعرض لهم من أمورٍ ما كان ينبغي لهم أن يجهلوها في تصحيح عقيدتهم الإيمانيَّةِ، وكان هذا هو الَّذي جرى عليه العمل.

❁ ❁ ❁

❁ فآمن النَّاس وفيهم الصِّبيانُ، وفيهم البُلْهُ والنِّساءُ والرِّجالُ، وربَّما تجد من لا يسمع ولا يتكلَّم، يعلم بهذه الحقيقة، فقد ترى الأصمَّ الأبكمَ إذا حدَّثته، يُحدِّثك عن قدرة الله، فيشير إلى السَّماء، ويُحدِّثك عن عذابه، ويُحدِّثك عن

رحمته، وهو في قرارة نفسه يعلم أنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُطْلَبُ، وأنَّه يَستجيب، وأنَّه هو قادرٌ على كلِّ شيءٍ، قد استقرَّت العقائدُ على هذا النَّحو.

ثُمَّ بعد ذلك ظهر ما أوجبَ على أهل الإيمانِ أن يدخلوا في دائرةِ الكيفِ، وبدأ السُّؤالُ عن حقيقة هذه المعاني، فدخل النَّاس يسألون عن سمع الله، وبصره، واستوائه، وغير ذلك، فلمَّا دخل النَّاس في هذا الأمر، **معَ أنَّه لم يكن الدُّخولُ فيه مطلوبًا شرعًا،** لأنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللهِ، وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي اللهِ**»[١]، ونهى عن الاشتغال بالمُتشابِه، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾، فلمَّا دخل النَّاس في هذا الأمر، دخلوا إليه بمسالكَ مُختلِفَةٍ:

- **فمنهم من اعتقدَ التَّجريدَ في ذات الله، أي أنَّه لا يخضع للزَّمان، ولا للمكان، ولا تحُلُّه الحوادث، ولا يُمكن أن يطرأَ عليه شيءٌ ممَّا يُمكن أن يكونَ مُشابهًا للحوادث،** وهؤلاء تمسَّكوا بما ورد من أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قبل أن يخلُقَ الزَّمان والمكان كان موجودًا، ولم يكن في زمانٍ ولا مكانٍ[٢]، فهنا قالوا بأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمَّا كان على هذا الحال بلا زمانٍ ولا مكانٍ، ثُمَّ لمَّا خلق الزَّمانَ

---

(١) أخرجه الطَّبرانيُّ في الأوسط (٦٣١٩)، وأبو الشَّيخِ في العظمة (١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) يشير إلى ما رواه البخاري (٣١٩١) عن عمرانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**»

والمكان فإنَّه لا يُمكن أن يتغيَّر، فاستصحبوا هذه الصُّورةَ، وآمنوا بها، وقالوا بأنَّ حدوثَ العالَم وعدمَ حدوث العالَم لا يُغيِّرُ شيئًا من قدرة الله، فسيأتي العالَمُ وينتهي، وسينتهي كلُّ حادثٍ ويبقى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إذن إذا كان الزَّمانُ سيذهب، والمكان سيذهب، والأشياء ستذهب، ويبقى وجه ربِّك ذو الجلال والإكرام، معنى ذلك أنَّه كان مُفارِقًا للزَّمان، وكان مُفارِقًا للمكان، مُفارِقًا للأشياء، فاعتقدوا ذلك واستدلُّوا بالحديث الَّذي ورد في هذا الموضوع: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ»[٣]، فآمنوا بهذا واعتقدوه، **ولمَّا جاءت النُّصوصُ الشَّرعيَّةُ، قالوا بأنَّ هذه يجب أن تُفسَّرَ بما يُناسب التَّجريدَ.**

وهنا يرد السُّؤال على هؤلاء المُتنازِعين: **هل الموجودُ عالَمُ الطَّبائع وعالَم المادَّةِ؟ أو يوجد عالَمٌ آخرُ يُسمَّى بعالَم المُجرَّداتِ؟** خاضَ المُسلمون في هذا الأمر خَوْضًا شديدًا، وانتهى المُسلِمون المُتكلِّمون إلى إثبات التَّجريد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا الأمرُ كما سبق أن ذُكِرَ لم يكن مطلوبًا الخوضُ فيه، ولكن

---

(٣) تقدم ذكره.

وقع ما وقع، فذهبوا إلى التَّجريد وحقَّقوا به ما يُسمُّونه التَّنْزِيه، ومضَوا على هذا الحال.

❀❀❀

❀ وعارَضهم الآخرون، وقالوا إنَّ هذا الَّذي تقولون يُعارِضُ النُّصوصَ المُنزَّلةَ، فكيف نَزَلَت هذه النُّصوص ولها معانٍ، ثُمَّ أنتم تقولون أنَّ التَّجريدَ هو الأصلُ؟ فاستطارَ النِّزَاعُ والخلافُ بينهم.

وعلى وجه التَّفصيلِ، لم يكن هؤلاء ولا هؤلاء يقصدون أن يُخالِفوا دينَ الله، ولا أن يأتوا بما يُغْضِب الله، ولا أنَّهم كانوا يعلمون الحقَّ وتخلَّوا عنه، بل كلُّ واحدٍ منهم كان يُريد أن يُدافعَ عن الدِّين وعن العقيدةِ، بأقصى ما يستطيع أن يُحقِّقَ هذا الأمرَ، مع الاحترام لكلام الله ولما يجب لله من واجباتٍ، كان هذا هو الأصلُ، وكانت هذه هي الغايةُ، **ونحنُ على ثِقَةٍ أنَّ أحدًا من هؤلاء، من الأشاعرةِ، ومِنَ المَاتُرِيدِيَّةِ، ومِنَ المُعتزِلة، ومِنْ غيرهم لو كان يعرف أنَّه سيُغْضِبُ اللهَ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بكلمةٍ قالها ما فاه بها وما نطقَ بها، ولو كان يعلم أنَّ الحقَّ في غيرها ما أتاها، هذه عقيدةُ كلِّ مسلمٍ في هؤلاء النَّاسِ، وهذا يجب أن يَعتقده كلُّ مسلمٍ.**

❀❀❀

۞ أمَّا كونُهم دخلوا في منطقةٍ فوقَ العقل، وفوقَ الإدراك، وأنَّ عقولَهم ما كانت تستطيع أن تأتِيَ بأمرٍ عِلْمِيٍّ قطعيٍّ في هذا البابِ، فهذا أيضًا مُسَلَّمٌ ولا شكَّ فيه، فإنَّ الإدراكَ بالكُنْهِ أمرٌ لا سبيل إليه، وهذا باتِّفاق المُسلِمين، ولا شكَّ في ذلك، وهكذا انتحى هؤلاء التَّجريدَ، وانتحى هؤلاء ما يُمكن أن يَجُرَّ إلى التَّجسيمِ، والتَّجسيمُ عند هؤلاء يُعتبَرُ القولُ به مُنكرًا، ولكن منهم من غلا من المُجَسِّمة فقال بالجِسْمِيَّةِ وهذا خطأٌ كبيرٌ، **ومنهم من أنكرَ ولكن كلامُه يؤول إليه على كل حال.**

۞ **فانفصل هؤلاء إلى المُجَرِّدَةِ، وإلى المُجَسِّمَةِ، شِئنا أم أَبَينا هذه هي الحقيقة، لا ينبغي للإنسان أن يصرخَ، ولا أن يقول إنَّ هذا التَّقسيمَ فيه ما فيه، هذه هي الحقيقةُ**، هؤلاء خضعوا للنُّصوص، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم أنَّهم خضعوا للنُّصوص، فأدَّت بهم إلى هذا القول، وهؤلاء خضعوا للنُّصوص وللحقيقةِ الَّتي يَرون بأنَّها ثابتةٌ، فجرَّتهم إلى هذا الَّذي يقولون به، وهؤلاء وهؤلاء كلٌّ واحدٍ منهم يرى أنَّه يُدافع عن الحَقِّ، ويدافع عن دين الله على الوجه الصَّحيح.

۞ ۞ ۞

۞ **هل يمكن أن نقولَ بأنَّ هذا الأمرَ هو من بابِ الاجتهاد؟ وأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سيغفر للجميع ما دام أنَّ هذه المسألةَ اجتهاديةٌ؟** ذهبَ إلى ذلك

بعضُ المُتقدِّمين، منهم العَنْبَرِيُّ القاضـي، والجاحظ، **ومال إليه الغزالي في بعض كتبه، وقال بأنَّ هذه المسـائلَ الَّتي وقع فيها النِّزاع اجتهاديةٌ**، وأنَّه لا يُمكن أن نقول بأنَّ هذا مُصـيبٌ، وهذا مُخطِئٌ، وعلى كلِّ حالٍ أحدُهما مُخطِئٌ، والآخر مصيبٌ، ولكن هذا هو الجُهدُ، وهذه هي الطَّاقة، وهذا أقصى ما يمكن أن يوصَلَ إليه، وهذا أقصى ما يمكن أن يبلغَه عقل الإنسان.

۞ كان الدُّخول ابتداءً خطأً، **ولكن هل دخلَ هؤلاء باختيارهم؟** الجواب: **أبدا، كان الخوض عن اضـطرارٍ، لمَّا رأوا بأنَّ هجومًا فلسـفيًّا قد حصـل، وأنَّ بعضَ النَّاسِ يتكلَّمون في هذا الأمر، اضـطرُّوا في أن يَخوضـوا فخاضـوا في هذا الأمر عن اضـطرارٍ**، فهل يمكن أن يعتمدَ المسـلم على هذا الأمر ويقول: هؤلاء اضـطرُّوا للخوض في الكيف، فصـاروا كَيْفِيِّينَ، وانفصـلوا عن الاعتقـاديين والعِلْمِيِّين الأوائل الَّذين لم يخوضـوا؟ هذا التَّقسـيمُ يقتضـيه الواقع، أنَّهم كانوا على قسـمين: الاعتقـادِيُّون العِلْمِيُّون، الَّذين آمنوا، وهم أقوى في إيمـانهم كما صـرَّح بذلك الغزاليُّ في كتبه، أنَّ العامِّيَّ تجد إيمانَه أرسـخَ من الجبل، والمُتَكَلِّمُ تجده في مهبِّ الرِّيح، والاعتقادِيُّون هم هؤلاء الَّذين تجدهم لم يخوضوا في هذه المادَّةِ، ولم يعلموا لا تقسـيماتٍ، ولا جوهرات، ولا صـفاتٍ، إنَّما يعلم أنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى يراه، وأنَّ الله يسـمعه، وأنَّ الله على كلِّ شـيءٍ قديرٌ، ويعلم أنَّ الله

يبعثه، وأنَّه يحاســبه، علمًا راســخًا ثابتًا، فإن قلت له: كيف؟ وجدتَه مُســلِّمًا لا يبحث في هذه الأشــياء، إذن خلاصــةُ القول أنَّ هذه هي حقيقة الأمر، وهذا ما وقع.

۞ أمَّا كثرة الكلام، ودخول السُّفهاء إلى الكلام، وسبُّ هذه الطَّائفة، وهذه الطَّائفة، واللَّعن والشَّتم، فهذا كلُّه يدُلُّ على أنَّ النَّاسَ يحقد بعضُهم على بعضٍ، **وأنَّ ســببَ هذا هو الجهلُ**، أمَّا إذا نظرنا إلى الحقيقة كما هي لوجدنا أنَّ **هذه المســألةَ في مبدأِ الأمر كانت خطأً، ولكن كانت عن اضــطرارٍ**، ولم يكن أحدٌ قد دخل في هذه المسائل من أجل أن يلعبَ بالدِّين، ولا أن يعبثَ بالعقيدة، لكن كان ذلك أمرًا قُصِــدَ به الدِّفاعُ عن الدِّين، هذه هي الحقيقة، إذن خلاصــة الكلام، أن الـذي انقســم إليـه النـاس هو الاعتقـاديون العلميون، وهؤلاء الكيفيون بجميع أصنافهم.

۞ ۞ ۞

۞ **قد يقول قائلٌ**: نحن لسنا كَيْفِيِّين، فيُقال: إذن ما معنى أن تبحثَ عن الحقيقة؟ ماذا يُسمَّى هذا؟ الحقيقةُ هي الكيف، فقولك: كيف كذا، وما كذا، هو الكيف، إذ الكيفُ هو ما يَعْقُب مثلَ هذا الاستفهام، إذن ما دُمْتَ قد دخَلْتَ في هذا الأمر، وأنت تعلم أنَّ الأمرَ لا توجد فيه مادَّةٌ شرعيَّةٌ، فإنَّ هذه التَّفاصيل لم يأت

بها النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يأت بها القرآن، فمن أين ستأتي بها أنت؟ الجواب: من العقل، فقد يقول: لا نستخدم العقلَ، ونُقدِّم النَّقلَ، فنقول: لو كنتَ تُقَدِّمُ عليه النَّقلَ لسمعتَ إلى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

❁ ❁ ❁

فلو أردتَ أن تعملَ بالنَّقل لعملت بهذه الآية، ولكففْتَ لسانَك، ولو كنت تريد أن تعملَ بالنَّقلِ، لعملت بقول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللهِ، وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي اللهِ»(٤)، ولو كنتَ تُريد أن تتَّبعَ السِّيرةَ الصَّحيحةَ فقد آمنَ من قبلك ربَّما عشراتُ الآلافِ من الصَّحابة، وكانوا يجلسون في المجالس، ويتناقشون في أمورٍ كثيرةٍ، وما خاضوا في هذا الأمرِ، ولا تحدَّثوا فيه، ولم يكن أبدًا موضعًا للحديث النَّبَوِيِّ على هذا الوجه المُتداوَل الآن، وما ذاك إلَّا لأنَّ البلاءَ الرَّبانِيَّ في هذه الجُزْئِيَّةِ إنَّما كان في الكفِّ عن الخوض، هذا هو الَّذي يعمل بالنُّصوصِ، الَّذي سمع خطورةَ الأمر، وعلم أنَّ هذا لا يدخله الإنسان إلَّا عن اضطرارٍ، وأنَّه ليس مَحَلًّا للاختيار، وأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد كلَّف النَّاس بالكَفِّ، فاكفُفْ عقلَك وقلبَك ونفسَك، وآمِنْ بالله كما أمر، وكما آمن به الملايين من البشر، فهذا هو

---

(٤) أخرجه الطَّبرانيُّ في الأوسط (٦٣١٩)، وأبو الشَّيخِ في العظمة (١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وتقدم.

المُكَلَّفُ به، وهذا هو الَّذي جاءت به الأنبياء، لكن أنت تخوض الآن، وأدَّى بك السَّفَهُ إلى أن تتكلَّمَ في ذات الله، فهذا خطرٌ.

❁ ❁ ❁

❁ إذن **خلاصة الكلام وهو الذي يهمني في هذه الكلمة**، أنَّ النَّاسَ مُنقسِمون إلى:

- **اعتقادِيِّينَ.**
- **وكَيْفِيِّينَ.**

❁ **وهؤلاء الَّذي يُسَمُّون أنفسَهم «أهلَ الحديثِ» قد دخلوا في الكَيْفِيَّاتِ، وهؤلاء الَّذين يُقابِلونهم ويُخالِفُونهم دخلوا في الكَيْفِيَّاتِ**، وهذا كلُّه قد يقول الإنسان: إنَّه أمرٌ اقتضته الضَّرورة، والدِّفاعُ عن الحقِّ، وكلٌّ يُريد أن يثبت لله ما أثبته لنفسه، فهؤلاء يقولون نحن الَّذين أثبتنا لله ما أثبت لنفسه، وهؤلاء يقولون أنتم تُثبتون ما لا يليق به سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، إلى آخر ذلك من النِّزاعات.

❁ الخَطَرُ الكبيرُ أنَّه دخل في علم الكلام بعضُ السُّفهاءِ مِنَ المُتقدِّمين، ويتكلَّمون في ذات الله كلامًا تشمَئِزُّ منه النَّفسُ، فتسمع أحدَهم يتحدَّث عن الله كلامًا تكاد تُحِسُّ من نفسك بالدُّوار وأنت تسمعه! اقرؤوا كتابَ الفَرْقِ بينَ الفِرَقِ، وانظروا في المِلَلِ والنِّحَلِ، لتسمعوا الغرائب والعجائب من التَّجسيمِ،

والعجائبَ والغرائبَ من الجهة الأخرى، حتَّى إنَّ الإنسانَ أحيانًا يشعر بالرُّعبِ من هذا الكلام، ويقول: من الَّذي صدر منه هذا الكلام، أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم! حتى قال سفيهٌ من سفائهم: إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سبعةُ أذرعٍ بذراعي! أي كلامٍ هذا! فهل الله جَلَّ جَلَالُهُ يُتحدَّثُ عنه بهذا الكلام؟! ماذا بقي من الدُّنيا؟ ثُمَّ تجد سفيهًا من السُّفهاء يقول: إنَّ الله له أن يجلسَ على جناح بعوضةٍ، وأن يستويَ على جناح بعوضةٍ! هل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أصبح بهذا النَّوع من الاحتقار؟! ومن الاستهزاء، ومن اللَّعب! ما هذا السَّفَهُ، وما هذا المُنكَرُ؟!

۞ **والغريب** أنَّ هذا الزَّمانَ وقع فيه تجرُّؤٌ شديدٌ على ذات الله، كان النَّاسُ إذا ذُكِرَ الله يكفُّون ألسنتهم، ويَهابون الموضوعَ ويُجِلُّونه، الآن تجد عامِّيًا يجلس إلى الآخر ويجلب له ذات الله! ويجعلونه موضوع الحديث؟! أَوَلا يوجد مسلمون غيرُكم؟ والأجيالُ السَّابقةُ المُخلِصَةُ المُتعبِّدةُ الَّذين جاهدوا ونظروا تناقشوا في العلم، وطلبوه، وارتحلوا، كلُّهم لا يستطيع أن يجعلَ هذه مواضيعَ كلامهم، إلَّا أنت وحدك؟ **هؤلاء الذين يجعلون الله موضوعَ كلِّ مجلسٍ سفهاءُ، تجرَّؤوا على ذات الله بطريقةٍ فيها زندقةٌ، ثُمَّ يقولون إنَّهم يُحَقِّقون التَّوحيدَ!** هذا لا دخل له فيما يدخل فيه المسلمون، الَّذين إذا ذُكِرَ الله وجلت قلوبهم، فأين هو الوجل؟ أليس لله هيبةٌ؟ أليس لله حرمةٌ؟ كلَّما جلس سفيهٌ في المجالس فإنَّه

يجلب مثلَ هذه المُتشــابِهاتِ، ويريد أن يجعلَها موطنَ الحديث! والمطلوب منك تصــحيحُ عقيدةِ النَّاس، وبثُّ المســائل العلميَّةِ، فإذا تقرَّرت في نفوســهم يكفيك ما وقف عنده الأنبياء والرُّسل، لست أحسنَ من الأنبياء، ولستَ أحسن من النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذي هو إمام هذا الأمر، فإنَّه كان يُعَلِّمهم حتَّى إذا تقرَّرت، وعرَف أنَّهم آمنوا، وطابقَ الكلامُ الفطرةَ، واســتقرَّ وعمِل في النَّفس، كفَّ عن ذلك، وما كان يخوض بعد ذلك، وكان يأتيه الأعرابي والمرأة، فيُعَلِّمهم على هذا النَّحو.

۞ وتجد هؤلاء يقولون: **بل لا بدَّ أن نُحارِبَ الأشــاعرةَ!** ماذا تُحارب في الأشاعرة؟! **الأشاعرةُ أصحاب عقولٍ خطيرةٍ، قد استولوا على هذا الموضوعِ، ومِنْ قبلِهم المُعتزِلة، هم الَّذين تولَّوا تصــديرَ هذا الأمر، وكانوا رأسَ هذا الأمر، ثُمَّ جاء الأشــاعرةُ مِنْ بعدِهم فزادوا عليهم، وأخذوا هذا الأمرَ، وجاء المَاتُريديَّةُ مِنْ بعدهم، فما الذي يُمكن أن تفعلَه في منطقةٍ عقليَّةٍ؟!** هذه مِنطقةٌ عقليَّةٌ، ويقول لك البعض: بل سَــنُنَزِّلُ فيها النُّصــوصَ! نقولُ لهم: ليس فيها نصــوصٌ، **لأنَّه لا يُمكِنُ أن يُحَرِّمَ شــيءٌ ويَمنعَه ويقولَ لا تخوضــوا فيه، والمَطلوب منكم الكَفُّ، وأنتم مُكلَّفون بالكَفِّ، ثُمَّ يُعطيك المادَّةَ الَّتي تُفَسِّرُ بها هذا الموضــوع؟!** أوليس هذا جنونًا؟! الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ينطقْ، والقرآنُ قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا

ٱللَّهُ﴾، فمن أين ستأتي بالمادَّةِ التَّفسيريَّةِ؟ فيقول لك بضعهم: قال فلانٌ، وقال فلانٌ! هذا أمرٌ خطيرٌ، وليس موضوعًا فقهيًّا، ولا موعظةً، إذا كان الله سيُتَّخذ في المجالس كالشَّيءِ الَّذي نَدْرُسه من المادِّيَّاتِ ومن الطَّبائع فعلى الدُّنيا السَّلامُ!

۞ وإنَّ الإنسانَ مهما بلغ في الفجور والمعاصي، إلَّا أنَّه إذا ذُكِرَ الله أمامه، وهو معبودُه ومُعْتَمَدُه والَّذي عليه كلُّ شيءٍ في الحياة، ثُمَّ إذا تُحُدِّث عنه بهذه الطَّريقة، فلا يمكن أن يصبِرَ أو يسكتَ، لأنَّه أمرٌ خطيرٌ، فهو الإله المُتعالي على كلِّ شيءٍ.

۞ ۞ ۞

۞ **يا عوامُّ! كفُّوا ألسنتكم! كفُّوا ألسنتكم! واشتغِلوا بما ينفعُكم**، هذا موضوعٌ له أصحابُه، المُتَكَلِّمون دخلوا إلى هذا المكان بأدواتٍ عقليَّةٍ دقيقةٍ، ومادَّةٍ معرفيَّةٍ دقيقةٍ، هم الَّذين سيُحاسَبون على ما فعلوه، فإمَّا أن يرحمَهم الله كغيرهم من الخلق، وإمَّا أن يُعذِّبَهم، هذا أمرٌ لا يهُمُّنا، الَّذي يهُمُّنا أن نحتفظَ لله بالحرمة والهيبة، وأن نخجلَ عند سماع مثل هذا الكلام، وأنْ نُصابَ بالوجل إذا ذُكِرَ اسمُ الله عَزَّوَجَلَّ، أو ذُكِرت صفاتُه، هذا واجبنا الشَّرعيُّ، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقول: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وليس إذا ذُكِرَ الله قَفَزْنَا إلى الكيف، وقفزنا إلى التَّجسيمِ، فهذا تجسيمٌ! لا شكَّ في ذلك، والَّذي ينفيه إنسانٌ أحمقُ، فيقول: أَقْبَلُ المعنى وأُسِلِّمُ الكيفَ، يُقالُ لهم: الكيفُ صفةٌ تابعةٌ للمعنى، لا

يُمكن أن تُرْفَعَ، فالكيف يكونُ في الطُّول والعَرْضِ وما شابه ذلك، وما يُنقَلُ عن مالكٍ أنَّه قال: «**والكيف مجهولٌ**» هذه ليست كلمةً لمالكٍ، هذه كلمةٌ فلسفيَّةٌ مَنطقيَّةٌ، من المقولات العشر، ونسبةُ هذا الأمرِ وتسطيرُه في الكتب فيه ما يستوجِب المراجعةَ والنَّظَرَ، هذا أمرٌ يجب على الشَّبابِ أن يعلموه، فإنَّهم اشتغلوا بأمورٍ لا يُمكن أن تفيدَ في شيءٍ، والإيمان يجب كما أنزله الله، وكما أمر به رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

۞ **والبعض الآن لا يرحم بعضهم بعضًا، ولا يعذر بعضهم بعضًا، ويكذب بعضهم على بعضٍ، تجد هذا يكذِب على الأشاعرة، فيقول: قالت الأشاعرة، وقالت الأشاعرة، وتجد أنَّ الأشاعرةَ لم يقولوا شيئًا من ذلك! وتجد الأشعريَّ يُقَوِّل المعتزلةَ ما لم يقولوه، والمعتزليُّ يُقوِّلُ الأشعريَّ ما لم يقولوه، وكذلك الماتريدي، وهذا نوع من العدوانيَّةِ الشَّديدةِ،** حتَّى كأنَّك تشُكُّ أنَّ هؤلاء النَّاسَ دخلوا من أجل تشتيت المسلمين وتفريقهم، وليس من باب طلب العذر للآخر، فكيف يحل لهم أن يكذبَ على مُخالِفه؟ يجب أن تقرأَ كتبَهم، وأن تستقصيَ مقالاتِهم، وأن تبحثَ عن مقاصدهم حتَّى تفهمها، فإذا فهمتها فحينئذٍ يُمكن أن تعترضَ، وحتَّى هذا الاعتراضُ سيكون كسائرِ الاعتراضات، ولا يمكن أن يوصِل إلى الحقيقة.

فالحقيقة أنَّ هذا الأمر قد كلَّفنا الله بالكفِّ عنه، ولكنَّ النَّاسَ دخلوا فيه فصار معرفةً إنسانيَّةً، ولذلك عندما نُدَرِّسُ علمَ الكلام، نقول للطَّلبة: اعلموا أنَّ هذا الفنَّ، معرفةُ الإنسان في الكيف، واعرفوا أنَّ ما يُقال فيه فهو في الكيف، فمن لم يُرِدْه فهو أمرٌ يعنيه، ولكن إذا دخلتم فلا ينبغي أن ترفعوا هذه المعرفةَ إلَّا لدرجةِ معرفةٍ إنسانيَّةٍ بشريَّةٍ جاء بها النَّاس في الحديث عن الكيفِ، فهل وصلوا إلى الكُنْهِ؟ الجواب: لم يصلوا إلى الكنه، ولا حلُّوا هذا الأمرَ على وجهٍ يُمكن أن يُقالَ إنَّه قطعيٌّ، لأنَّه كما سبق أن ذُكِرَ أنَّ هذا الأمرَ ليس فيه معرفةٌ شرعيَّةٌ حتَّى يُمكنَ أن يُقطَعَ به، ثُمَّ إن هذا الأمرَ فوقَ طاقة العقل.

وأنا ما يهُمُّني في هذا الأمر، وما هو أهمُّ عندي، هو الجرأةُ الشَّديدةُ على ذات الله، فيجلس الإنسان في المجلس، وفيه الصِّبيانُ والعوامُّ، وفيهم من إيمانه ضعيفٌ، ويأتي بمواضيعَ كقوله: هل الله يضحك؟! ويقال لهذا: ما الَّذي أدخلك في هذه المسائل! إنَّك بمُجَرَّد أن تقولَ هذا الكلامَ لأناسٍ مع اختلاف مداركهم، وطبائعهم، واختلاف نفوسهم، إمَّا أنَّهم سيتقزَّزون من هذا الكلام، وإمَّا أنَّهم سيقبلونه، وإمَّا أنَّهم سيُفكِّرون في جسمٍ يضحك! هكذا يُفكِّرون.

❁ **أمَّا من يقول أُثبت المعنى وأُفَوِّضُ الكيف، فهو كلامٌ مُتناقضٌ، فالكيف لا يرفع المعنى، والكيف صفةٌ زائدةٌ على المعنى، فمثلًا تقول: لهذا رأسٌ، ولكن أُفَوِّضُ في الكيف، فأنت إنَّما فوَّضت في الصِّغَرِ، والكِبَرِ، واللَّون، فقط! هذا هو معنى الكيف، فالكيف لا يرفع المعنى، وإنَّما يُحدِّده، هل هو صغيرٌ أو كبيرٌ؟ وهل هو طويلٌ أو عريضٌ؟ هذا هو معنى الكيف.**

❁ الشَّباب يجب عليهم أن يؤمنوا بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ويشتغلوا بالعلم النَّافع كما كان السَّلف يعملون، وأن ينشغلوا بترسيخ هذا الإيمانَ بالعمل، ويعلموا أنَّ الحواريِّين والصَّحابةَ والمجاهدين والأسباطَ والأنبياءَ السَّابقين، كلُّ هؤلاء إيمانُهم هو ما سبق أن قرَّرناه في أوَّلِ الأمر، ولم يزيدوا عليه، ومن درس علمَ الكلام فلْيَدْرُسْه على هذه الصُّورة الَّتي تقدَّمت.

❁ ❁ ❁

❁ إذن فينقسم النَّاس إلى:

○ **اعتقاديِّين**: وهم جماهير المسلمين في أنحاء الأرض، وأقول هم اعتقاديُّون علميُّون، فإنَّ إيمانَهم راسخٌ.

○ وإلى **أصحاب الكيفيَّات**، الَّذين تجدهم مُضطَرِبين، فيسألك اليومَ شيئًا، ثُمَّ غدًا يُعاوِد ويسألك، ويأتيك فيقول: هل سمعت ما قال فلان؟ وهل الغزاليُّ

كافرٌ؟! وهل أبو حنيفة كافرٌ أو مُسلِمٌ؟! وأحدهم سألني: هل الألبانِيُّ مات على الكفر؟! أيُّ سفهٍ هذا؟ وأيُّ كلامٍ هذا؟! وإذا افترضنا أنَّك علمت أنَّ عالمًا من العلماء، أو إمامًا من الأئمة، أو شخصًا من الأشخاص مات على الكفر، ما الَّذي ينفعك؟ أو مات وهو مؤمنٌ صالحٌ، ما الَّذي ينفعك؟ فهل أنت ستكون محَلَّه وستموت مثله؟! إنَّ النَّاس يدخلون في أمورٍ غريبةٍ! لا نقول إلَّا لا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله، تجد أحدَهم تاجرٌ مثلًا، ولا يعرف البيعَ، ولا الشِّراءَ، ولا المعاملاتِ المُحَرَّمةِ، ثُمَّ تجده يُخَطِّئُ فلانًا، وهو لا يعلم حقيقة البيع، ولا حقيقة الصَّرف، ولا حقيقة المُناجَزة، ولا أيَّ شيءٍ من الدِّين الَّذي يهمُّه في عمله، ثُمَّ يشتغل بأمورٍ تافهةٍ!

۞ وكُلَّما تحدَّث إنسانٌ في شيءٍ، تجده يقول: فلانٌ قُبوريٌّ! وفلان مُتَمَشْعِرٌ! وهؤلاء الَّذين يَسُبُّهم لا يرضون ولا يَقبلون بغير الرُّسلِ أئمةً لهم في الدِّين! هذه حقيقةٌ ينبغي أن تضعَها في رأسك، فهؤلاء لا يرضون أن يأتِيَ أحدٌ ويُعَلِّمُهم الدِّينَ، ولا أن يقودَهم سوى الوحيُ أبدًا، أمَّا الآراء والمذاهب ونحوها، فهذه أشياء يدرسونها دراسةً لبحثها وفهمها والنَّظر فيها وتقويمها، ثُمَّ يقول بعد ذلك: فلانٌ قبوريٌّ! وهل رأيته يومًا -وسيحاسبك الله- يذبح لقبْرٍ؟ هل رأيته استغاث بقبْرٍ؟ أو أنَّك تُطلِق الكلام على عواهنه؟ أو يقول: إنَّ فلانًا

جهميٌّ! فيقال: سبحانَ اللهِ! هل أنت تعلم أنَّه يتبع الجهم؟ هل يرضى أن يتبعَ الجهمَ بن صفوان؟!

❁ يُقال لهؤلاء: غُوصوا في أعماق الَّنفس، وأعماق الوِجدان، فللَّه أولياءُ في الأرض، وفيهم الصَّالحون، وفيهم دعاة الخير، وفيهم المؤمنون، فلا تظنَّنَّ أنَّك أنت وحدَك الَّذي تعرف الدِّينَ، فإنَّه يوجد في هؤلاء الَّذين تحتقرهم وتعُدُّهم من العوامِّ، من بلغ في محبَّة الله والتَّقرُّبِ إليه ما لا تصل إليه حتَّى لو دخلت بجهدك، لأنَّك اتَّسخْتَ بحقوق النَّاس، والكلامِ في عيوبهم.

❁ إذن نحن ننصح الشَّباب أن يكونوا اعتقاديِّين، وأن يشتغلوا بالعلم، فإذا درسوا علم الكلام، فلْيَدرسوه دراسةً بحدوده الصَّحيحة، ونحن نقول إنَّ علمَ الكلام يُمكِّن من الأدوات في الجدل، يُمكِّن من هزم المُلحِد، يُمكِّن من القدرة على بناء المُقَدِّمات، وخلق المطبَّات للمُخالِف، فمن درسه لا يمكن أن يُستهانَ به، لأنَّه يعرف المداخل، ويعرف كيف يجُرُّ الخصم إلى الوقوع في الحفر، ويُعرَف أنَّه حينما يُخاطبه، أنَّه يُخَطِّط من أجل إسكاته، إن كان مُلحِدًا، أو كان علمانِيًّا، أو كان غيرَ ذلك، فيعرف مداخل هدم الأفكار، فلا يمكن أن يُنكرَ أنَّ اكتسابَ الملكاتِ موجودٌ في علم الكلام، فالملكاتُ الَّتي يُمَكِّن منها صالحةٌ لتكونَ أدواتِ الدَّفع، وأدواتِ الرَّفع، وأدواتِ الهدم، وأدواتِ البناء، وأدواتِ

الانفصال، وأدواتِ الإشكال، هذا كلُّه لا إشكالَ فيه، لكن ذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يجب أن يُطلَبَ له الوقارُ، وأن نُجِلَّه، وألَّا نتجرَّأَ عليه، ولا ندخلَ في مثل هذه الأمور إلَّا عند الضَّرورةِ، فإذا كان الإنسان مضطرًّا، ولم يجد بُدًّا، فحينئذٍ يخوض.

۞ ولْيَعلمْ هذا الَّذي يُكثِرُ الضَّجيجَ، أنَّ من النَّاس من أتقن علم الكلام إتقانًا، يحفظ مصطلحاتِه، ويعرفه، ويعدُّه معرفةً، وهو ما زال على طريقةِ الاعتقاديِّين والعلميِّين، لم يتغيَّرْ.

۞ علَى كلِّ حالٍ، المطلوبُ الآن، وهو أصل الكلام، أن التَّجرُّءَ على الله، واللَّعبَ بذات الله، وهذه السُّخريةُ الَّتي صارت إليها ذات الله، فهذا شيءٌ يجب أن يعلمَ المسلمُ أنَّه قد يُؤَدِّي به إلى الكفر مباشرةً، وأنَّ وضعَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موضعَ الكلامِ من غير ضرورةٍ، ومن غير أن يكونَ ذلك لموجِبٍ شرعيٍّ فهو أمرٌ خطيرٌ، وفي بعض الكتب تجد العجائب والغرائب، مما يمكن للإنسان أن يتقيَّأَ عند سماع ذلك، وهذا أمرٌ غريبٌ، فكلُّ الشَّرِّ الَّذي عند اليهود أدخلوه إلى الدِّينِ، وذلك الخزيُ، وعقائدُ التَّجسيمِ، والمُنْكَرُ استدعوه! فما دَخْلُنَا نحن في كلِّ هذا، فنحن نقول: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾، هذا هو الواجبُ، فالعلم مفقودٌ، فما يعلمه إلا الله، والرَّاسخون في العلم يقولون آمنا به كلٌّ من عند ربِّنا، أمَّا العلم به فلسنا مُكَلَّفين به، ونحن تركنا ما كُلِّفنا به، واشتغلنا بما لم نُكَلَّفْ به، فإن كانت

نفسُك مريضةً وبها وساوس فعالج نفسك، وبعض النَّاس يقول: هذا مطلبٌ معرفِيٌّ، نقول: ليس هذا مطلبًا معرفيًّا، بل هو مطلبٌ وسواسيٌّ، ومطلبٌ مَرَضِيٌّ، لأنَّ الَّذين سبقوك علموا وعملوا وارتقوا في مراتب الكمال، وبلغوا الذِّروة في التَّقرُّبِ إلى الله، وفي الإيمان به، وفي الاعتقاد، وكلَّ يومٍ يزدادون في المراتب، وما دخلوا في هذه الأشياء.

۞ هذا ما تيسَّـــر ذكرُه في هذا المقام، وإن وجدنا فســـحةً كتبنا في هذا الأمر رسالةً، وبيَّنا فيها هذه الأمور مُوجَزةً مُختصَرةً مُرَكَّزَةً إن شاء الله تعالى، أمَّا الَّذين في قلوبهم مرضٌ فسيسمعون إن شاء الله تعالى ما يُرضيهم، والله أعلم.

